

## إيضاحات حول ساعات عمل الأستاذ الجامعي

لا يخفى على المهتمين بشأن التعليم العالي ما كانت تحظى به مهنة التدريس الجامعي من مكانة متميزة، فلقد كان الأستاذ الباحث خلال السبعينيات وحتى بداية الثمانينيات يتبوأ مراتب متقدمة على كافة المستويات؛ ثم أخذت هذه المرتبة في التدهور المستمر حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، إذ انتزعت من التعليم العالي مكانته المستحقة وسلبت من الأستاذ الجامعي كثيرا من مستحقاته المادية و المعنوية حتى أصبح وضعه الحالي غير منسجم مع المقام الذي يليق به. كما أصبحت مهنة أستاذ التعليم العالي مهددة بمزيد من الانحدار، وهذا ليس تخميننا ولكن هناك أسباب موضوعية توحى بذلك، ولا أدل على ذلك من "مشروع مستخدم" الذي يراد تمريره و تطبيقه و ما يترتب على ذلك من تبعات خطيرة على مستقبل التدريس الجامعي. ولقد اتخذ لذلك ذرائع قد تكون من أهمها و أشدها ما يبدو على أنه ساعات عمل الأستاذ الجامعي و يعدونه على الطريقة الحسابية المعهودة فيستخلصون بذلك سويغات قليلة يعتبرونها كل ما يقوم به الأستاذ من عمل. و الحقيقة عكس ذلك، لأن محاولة تقييم العمل بهذه الطريقة الحسابية الضيقة و السطحية لا يمكن تطبيقها على هذه المهنة، بل إنه من الصعب إحصاء عدد ساعات عمل الأستاذ الجامعي الحقيقية كما سأحاول إيضاحه فيما يلي.

إن لمهنة الأستاذ الباحث خصوصيات متعلقة بمسيرة و طبيعة تكوينه من جهة و بطبيعة عمله من جهة أخرى، و حقيقة ساعات عمله هي إحدى هذه الخصوصيات؛ فالذي يبدو وكأنه ساعات عمل الأستاذ الباحث ليس إلا ساعات أداء الدروس و المحاضرات. و لمزيد من التوضيح، فساعات الأداء يسبقها إعداد و تحضير يأخذ من وقت و جهد الأستاذ الكثير نظرا لكون التعليم العالي يعتمد بالدرجة الأولى على الإعداد الشخصي الذي يتطلب استقاء المعلومات من مصادر مختلفة و ما يستلزمه ذلك من ترجمة و تنقيح و تبسيط للمضامين إلى غير ذلك؛ دون أن نغفل ما يتطلبه التدريس بالتعليم العالي من تحيين مستمر وفق مستجدات الأبحاث و التطورات و الاكتشافات العلمية. هذا فيما يتعلق ببعض جوانب تحضير الدروس أما فيما يتعلق بأدائها فإن ذلك يتطلب إماما و فهما عميقا لما سيلقيه الأستاذ على الطلبة بأسلوب مكلف و مشقة ذهنية تزداد مع ازدياد عدد الطلبة في المدرجات كما تختلف حدتها كذلك من تخصص لآخر. و لكي يقوم الأستاذ بهذا العمل على الوجه المطلوب فإن ذلك يأخذ منه جهدا و وقتا كثيرا مما يجعل هذا العمل غير مقيد بزمان و لا بمكان؛ فالأستاذ يعمل داخل الكلية و خارجها خاصة ببيته، و يعمل كذلك أثناء العطل و خارج الأوقات المعهودة في وظائف أخرى.

كما يقوم الأستاذ بجملته مهام متعلقة بالسلك الثالث منها التدريس الذي يتطلب - خاصة في هذا المستوى- التخصص الدقيق و البحث المعمق و المسير لآخر الاكتشافات و مستجدات البحث العلمي، إضافة إلى ذلك فإن الأستاذ الجامعي يقوم بالتأطير و الإشراف على بحوث الإجازة و الماجستير و الدكتوراه، كما يعمل على إعداد تقارير حول الأطروحات و يشارك في مناقشاتها. و أثناء انعقاد المؤتمرات و الندوات العلمية، فإن إلقاء مداخلة من طرف الأستاذ الجامعي لا تتجاوز مدتها نصف ساعة قد تكلفه أسابيع من التحضير المكثف. دون أن نغفل ما يقوم به الأستاذ الجامعي من مهام متعددة، و على سبيل المثال لا الحصر: إعداد الامتحانات و ما يتبعها من تصحيح و مداولات، و المشاركة في التسيير الإداري.

ومما يزيد من تضحيات الأستاذ الجامعي في سبيل أداء مهمته بعض ظروف العمل الصعبة، و سأكتفي بإيراد بعض الأمثلة على ذلك، كنفق التجهيزات اللازمة للتدريس، و عدم توفر الأستاذ في أغلب الأحيان على مكتب لائق حيث تجده يفتقر إلى الحد الأدنى من المواصلات و التجهيزات المعتادة، بل إن هناك من السادة الأساتذة الباحثين من لا يتوفر أصلا على مكتب. ناهيك عما قد يتعرض له الأساتذة و تقنيو المختبرات من تأثيرات جانبية جراء الاحتكاك المستمر ب مواد كيميائية و غيرها في غياب مراقبة صحية دورية.

إضافة إلى كل ما سلف ذكره مما يقوم به الأستاذ الجامعي من عمل، و إضافة إلى ما يتطلبه ذلك من وقت و جهد فإنها تجدر الإشارة إلى إحدى أهم خصوصيات هذا العمل ألا و هي كونه منوط بقدرات و كفاءات

علمية اكتسبها الأستاذ الباحث عبر سنوات طوال كرسها للبحث و للدراسات العليا، داخل الوطن و خارجه، حصل على إثرها عل شواهد العلى التي خولت له العمل بالتدريس الجامعي. كما أن هذه المهنة تتطلب من الأستاذ صقل خبراته المكتسبة بالتكوين المستمر طيلة عمله الجامعي حفاظا على مكتسباته العلمية و تطويرا لمستواه المعرفي و الفكري.

إنه إذا لمن الإجحاف أن نعتبر الساعات الخاصة بأداء الدروس و المحاضرات هي كل ما يقوم به الأستاذ الباحث من عمل. فهذا التقييم الخاطئ و غير الموضوعي لساعات عمل الأستاذ الجامعي انطلى على كثير من فئات المجتمع نظرا لعدم إحاطتها بواقع و بطبيعة عمل الأستاذ الجامعي و بالكثير من تفاصيله، مما ترتب عليه استنتاجات خاطئة بل جائزة في حق الأستاذ الباحث، إذ اعتقد أنه لا يستحق ما يطالب به، كما أنه استعمل كوسيلة من أجل استساغة أن يسلب منه المستوى المادي و الاجتماعي اللذين يستحقهما و إبعاده عنهما تدريجيا، و كذلك من أجل تثبيطه عن المطالبة بما سلب منه و القبول بهذه الحال التي لا تزداد إلا ترديا. فالترويج، عن قصد أو عن غير قصد، بأن الأستاذ الجامعي لا يعمل إلا ساعات معدودة طيلة السنة الجامعية، لا يعدو أن يكون نظرة سطحية للغاية متجاهلة طبيعة التدريس الجامعي الذي لا يمكن إخضاع تقييمه لعملية حسابية ضيقة.

لذلك فإنه من الضروري إنصاف الأستاذ الباحث تقديرا لما تتطلبه مهنته من جهد ووقت و تقديرا لشواهد العلى و لمستواه العلمي و المعرفي وكذلك تقديرا لمجهوداته في سبيل تشكيل القاعدة المعرفية للمجتمع، فهو أستاذ الطبيب والقاضي والمهندس ... فكل الأطر العليا و المتفقة مرت بالتعليم العالي و حصلت منه على شواهدا التي خولت لها مزاولة مهنتها. و يكون إنصاف الأستاذ الجامعي بالتعامل معه بما يستحقه من مكانة مرموقة، و ذلك بالعمل على توفير جميع الشروط المادية و المعنوية اللائقة به حتى تتسنى الاستفادة من هذه النخبة بطريقة أفضل تكون لها انعكاسات إيجابية على تكوين الأطر و بالتالي على المجتمع و البلاد بصفة عامة لارتباط التعليم العالي الوطيد بالتقدم نظرا لكونه يشكل إحدى أهم الركائز و المقومات الأساسية للتنمية.

إدريس صالح

أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله  
عضو اللجنة الإدارية لل نقابة الوطنية للتعليم العالي